القزمُ الفهيم



بيروت

حكايات جدتي

القزمُ الفهيمْ



دار شهرزاد

القزم الفهيم

يُحكى أنَّ حطّاباً كانَ يَعيشُ مَعَ زَوْجَتِهِ عيشةً هَنِيَّةً سَعيدَةً . وَشاءَ اللهُ أَنْ يُتَمِّمَ سَعادَتَهُما فَرَزَقَهُما سَبْعَةَ أَوْلادٍ ، كانَ أَصْغَرُهُمْ ضَئيلَ الجِسْمِ بِحَيْثُ لَمْ يَتَجاوَزْ طولُهُ الإِصْبَع . لِذلِكَ سَمّوهُ « القَزَم » .

وَحَدَثَ بَعْدَ سَنَواتٍ أَنْ عَمَّتِ المَجاعَةُ البِلادَ وَعَجَزَ الآباءُ عَنْ تَدْبيرِ القوتِ لِأَوْلادِهِمْ ، وَكانَ الحَطّابُ أَشَدَّهُمْ فَقْراً وَحاجَةً ، فَتَأَلَّمَ كَثيراً ، وَهُوَ يَرى أَبْناءَهُ يَتَضَوَّرونَ جوعاً أَمامَ عَيْنَيْه .




AH

وَفي ذاتِ لَيْلَةٍ ، بَعْدَ أَنْ نامَ ٱلأَطفالُ ، دَعا ٱلحَطَّابُ زَوْجَتَهُ وَقالَ لَها :

— لَقَدْ صِرْنا في أَسْوَإِ حالٍ ، وَٱلْفَقْرُ يَفْتِكُ بِنـا وَبِأَوْلادِنا ، وَإِنِّي أَرى أَنْ آخُذَهُمْ مَعي غَداً لِيَتيهوا في ٱلْغابَةِ وَيَأْكُلوا مِمّا تُنْبِتُ أَرْضُها ، وَيَناموا في كَنَفِهـا .

فَصَرَخَتِ الزَّوْجَةُ مُرْتاعَةً وَقالَتْ :

— وَكَيْفَ تَتْرُكُ أَوْلادَنا تَحْتَ رَحْمَـةِ ٱلْوُحوشِ ٱلْمُفْتَرِسَة ؟

فَأَجابَ ٱلحَطّاب :

— إِنَّ ذٰلِكَ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ نَراهُمْ يَموتونَ جوعـاً أَمامَ أَعْيُنِنا .

* * *

سَمِعَ ٱلْقَزَمُ ما دارَ بَيْنَ أَبيهِ وَأُمِّهِ ، فَلَمْ يَغْمَضْ لَهُ جَفْنٌ بَعْدَ ذٰلِك . وَلَمّا أَقْبَلَ الصَّباحُ ٱلْباكِرُ خَرَجَ مِنَ



ٱلْمَنْزِلِ إلى النَّهْرِ ٱلْمُجاوِرِ ، وَمَلأَ جُيوبَهُ بِالْحَصى الصَّغيرَةِ ٱلْبَيْضاءِ ، ثُمَّ عادَ إلى فِراشِهِ وَٱسْتَسْلَمَ لِلنَّوْمِ .

عِنْدَما ٱسْتَيْقَظَ ٱلْجَميعُ في الصَّباحِ لَمْ يُخْبِرِ « ٱلْقَزَمُ » إخْوَتَهُ بِما سَمِعَ ، بَلْ خَرَجوا جَميعاً إلى ٱلْغابَة . كانَ ٱلْحَطَّابُ وَزَوْجَتُهُ يَقْطَعانِ ٱلأَغْصانَ ثُمَّ يَأْتي ٱلأَوْلادُ وَيَجْمَعونَها في رُزَمٍ كَبيرَة . .

وَلَمّا رَأى الحَطَّابُ وَزَوْجَتُهُ أَنَّ أَوْلادَهُما مُنْهَمِكونَ في ٱلْعَمَلِ تَسَلَّلوا عَبْرَ مَمَرٍّ ضَيِّقٍ وَٱبْتَعَدوا عَنِ ٱلأَنْظار .

وَسَرْعانَ ما وَجَدَ ٱلأَوْلادُ أَنْفُسَهُمْ وَحيدينَ في ٱلْغابَةِ، فَأَخَذوا في ٱلْبُكاءِ وَالصِّياحِ... وَلكِنَّ « ٱلْقَزَمَ » طَمْأَنَهُمْ وَطَيَّبَ خاطِرَهُم وَقالَ لَهُم :

— لا تَخافوا ، فَأَنا أَعْرِفُ طَريقَ ٱلْعَوْدَةِ إلى ٱلْبَيْتِ، فَٱتْبَعوني .





كانَ « القزم » فهماً ، فقد ألقى طوالَ الطريقِ بالحصى الصغيرةِ التي التقطها منَ النهرِ ، فسارَ الجميعُ على هدى هذهِ الحصواتِ لتقودَهُمْ إلى البيتِ.

★ ★ ★

ما كادَ الأبُ والأمُّ يصلانِ إلى البيتِ حتى جاءَ رسولٌ وقدَّمَ لهما باسمِ الملكِ عشرةَ دنانيرَ هديةً منهُ بعدَ أنْ سمعَ عنْ أعمالِهما الطيبةِ .

فرحَ الحطابُ بالدراهمِ وذهبَ إلى السوقِ واشترى منَ الأطعمةِ ثلاثةَ أضعافِ ما اعتادَ شراءهُ كلَّ يومٍ ، وعادَ إلى المنزلِ فرحاً مسروراً .

ما كادتِ الأمُّ ترى الطعامَ بينَ يديها حتى تنهدتْ وقالتْ لزوجها والدموعُ تنهمرُ منْ عينيها :

— أينَ همْ أولادُنا الآنَ ، لعلَّهمْ أصبحوا طعاماً للذئابِ .




AH

وَمــا ٱنْتَهَتِ ٱلأُمُّ مِنْ كَلِمَتِها حَتّى سَمِعَتْ طَرْقاً شَديداً عَلى ٱلْبابِ وَأَوْلادُها يَصيحون :

ــ هاَ نَحْنُ يا أُمّي ... ها نَحْنُ يا أُمّي .

أَسْرَعَتِ ٱلأُمُّ نَحْوَ ٱلْبابِ ، وَهِيَ لا تُصَدِّقُ أُذُنَيْها ، وَعانَقَتْهُمْ واحِداً واحِداً وَهِيَ تَقول :

ــ ما أَعْظَمَ فَرْحَتي بِلِقائِكُمْ يا أَحِبّائي . ثُمَّ أَعَدَّتْ لَهُمْ مائِدَةَ الطَّعامِ وَأَكَلوا حَتّى شَبِعوا ثُمَّ ناموا قَريري العَيْنِ مَسْرورين .

لَمْ تَكَدِ ٱلْعائِلَةُ تَتَمَتَّعُ بِهذِهِ السَّعادَةِ حَتّى نَفِدَتِ الدَّنانيرُ العَشْرَةُ ، وَوَقَعَ ٱلْحَطّابُ مَرَّةً ثانِيَــةً في ضائِقَةٍ خانِقَةٍ ، فَصَمَّمَ ، مِنْ جَــديدٍ ، عَلى التَّخَلُّصِ مِنْ أَوْلادِهِ .

عَرَفَ « ٱلْقَزَمُ » بِنِيَّةِ والِدِهِ ، فَٱسْتَيْقَظَ باكِراً ، وَهَمَّ بِالذَّهابِ إِلى النَّهْرِ لِيَجْمَعَ ٱلْحَصى ، وَلٰكِنَّهُ ، لِسوءِ



حَظِّهِ ، وَجَدَ ٱلْبابَ مُقْفَلاً .. ماذا يَفْعَلُ ؟ وَجَدَ أَنَّ أَحْسَنَ طَرِيقَةٍ أَلَّا يَأْكُلَ قِطْعَةَ ٱلْخُبْزِ ٱلَّتِي أَعْطَتْهُ إِيّاها أُمُّهُ لِلْفُطورِ ، وَأَنْ يَقْسِمَها إِلى فُتاتٍ صَغيرَةٍ يُلْقيها في الطَّريقِ لِتُعينَهُ في طَريقِ ٱلْعَوْدَةِ .

تَرَكَ ٱلْحَطّابُ وَٱمْرَأَتُهُ أَوْلادَهُمْ في ٱلْغابَةِ في مَكانٍ مُلْتَفٍّ بِكَثيرٍ مِنَ ٱلأَشْواكِ وَٱلأَشْجارِ ٱلْمُتَشابِكَةِ . وَوَجَدَ ٱلأَطْفالُ أَنْفُسَهُمْ في عُزْلَةٍ تامَّةٍ في هذا ٱلْمَكانِ ٱلْموحِشِ ، وَلَمّا أَخَذوا في ٱلْبُكاءِ طَمْأَنَهُمْ « ٱلْقَزَمُ » وَراحَ يَبْحَثُ عَنْ فُتاتِ ٱلْخُبْزِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ لَها أَثَراً فَقَدْ ٱلْتَهَمَتْها الطُّيورُ .

وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ ، وَعَصَفَتِ الرِّياحُ بِالأَشْجارِ ، حَتّى خُيِّلَ لِلأَطْفالِ أَنَّهُمْ يَسْمَعونَ عُواءَ الذِّئابِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ.

صَعِدَ ٱلْقَزَمُ إِلى أَعْلى شَجَرَةٍ ، فَظَهَرَ لَهُ مِنْ بَعيدٍ ضَوْءٌ ضَئيلٌ ، فَٱسْتَبْشَرَ فَرِحاً وَسارَ بِٱتِّجاهِهِ مَعَ إِخْوَتِهِ





حَتّى وَجدوا أَنفُسَهُمْ بَعْدَ مَسيرٍ طَويلٍ أَمامَ مَنْزِلٍ تَتَلأْلأُ فيهِ ٱلأَنْوار .

طَرَقوا ٱلْبـــابَ ، فَفَتَحَتْ لَهُمُ ٱمْرَأَةٌ تَلوحُ الطِّيبَةُ عَلى وَجْهِها . وَقالَتْ لَهُمْ بِحَنان :

ــ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ يا أَوْلادي ؟ أَلا تَعْلَمونَ أَنَّكُمْ في بَيْتِ ٱلْغولِ ٱلْمُخيف ؟

فَأَجابَها « ٱلْقَزَمُ » وَهُوَ يَرْتَجِفُ كَسائِرِ إِخْوَتِه :

ــ لَقَدْ أَضَعْنا والِدَيْنا في ٱلْغابَةِ ، وَنَكادُ نَهْلِكُ جوعاً وَخَوْفاً .

أَدْخَلَتْهُمْ ٱلْمَرْأَةُ الطَّيِّبَةُ إِلى ٱلْبَيْتِ وَأَجْلَسَتْهُمْ قُرْبَ ٱلْمِدْفَأَةِ ، ثُمَّ قَدَّمَتْ لَهُمُ الطَّعام .

بَيْنَما هُمْ يَأْكُلونَ سَمِعوا صَوْتاً مُخيفاً ، وَطَرْقاً شَديداً عَلى ٱلْباب ... لَقَدْ عـــادَ ٱلْغولُ فَأَسْرَعَتِ ٱلْمَرْأَةُ الطَّيِّبَةُ وَخَبَّأَتِ ٱلأَطْفالَ تَحْتَ السَّريرِ ثُمَّ فَتَحَتِ ٱلْباب .



دَخلَ ٱلغولُ ٱلمُخيفُ ، فسأَلَ ٱمْرأَتَه إنْ كانَتْ قَدْ أَعدَّتْ لَهُ طَعامَ ٱلعَشاء . وقَبْلَ أنْ تُجيبَهُ ٱلتَفتَ يَميناً ويَساراً وقال :

ـ إنِّي أَشُمُّ رائِحَةَ لَحَمٍ شَهِيٍ .

ثُمَّ نَهَضَ مِنْ مَكانِهِ وٱتَّجَهَ نَحْوَ السَّريرِ وأَخْرَجَ ٱلأَطْفالَ السَّبْعَةَ مِنْ تَحْتِهِ ، وَسَلَّ سِكِّينَهُ ٱلكَبيرَةَ وَهَمَّ بِذَبْحِهِمْ ، لَوْلا أن تَدارَكَتْهُمُ ٱلمَرْأَةُ الطَّيِّبةُ فأَخذَتْ تَسْتَرحِمُ ٱلغولَ وتَقولُ لَه :

ـ إنِّي صَنَعْتُ لَكَ ٱليَوْمَ عَشاءً لَذيذاً فأَبْقِ ٱلأَطْفالَ حَتّى الصَّباحِ وعِنْدَئِذٍ تَفْعَلُ بِهِمْ ما تَشاء .

أَبدى ٱلغولُ إعجابَهُ بِما قالَتْهُ زَوْجَتُهُ ، وأَمَرَها أنْ تَحْفَظَ ٱلأَطْفالَ في مَكانٍ أَمينٍ حَتّى الصَّباح .

كانَ لِلْغولِ سَبْعُ بَناتٍ صَغيراتٍ يَنَمْنَ باكِراً في سَريرٍ واحِدٍ كَبيرٍ ، وكانَ إلى جانِبِهِ سَريرٌ آخَرُ يُماثِلُهُ





فِي ٱلْحَجْمِ ، فَقادَتِ ٱمْرَأَةُ ٱلْغولِ ٱلْأَطْفالَ السَّبْعَةَ إِلَيْهِ ، وَتَرَكَتْهُمْ يَنامونَ فيه .

في مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ٱسْتَيْقَظَ «ٱلْقَزَمُ» خائِفاً مِنْ أَنْ يُنَفِّذَ ٱلْغولُ تَهْديدَهُ في اللَّيْلِ وَيَذْبَحُهُمْ ، فَقامَ مِنْ سَريرِهِ وَٱنْتَزَعَ قُبَّعاتِ ٱلْفَتَياتِ عَنْ رُؤوسِهِنَّ وَأَلْبَسَها إِخْوَتَهُ ثُمَّ لَبِسَ أَصْغَرَها وَقَفَزَ إِلى السَّريرِ وَنام .

بَعْدَ قَليلٍ ٱسْتَيْقَظَ ٱلْغولُ وَدَخَلَ غُرْفَةَ بَناتِهِ وَهُوَ يَتَلَمَّسُ طَريقَهُ في الظَّلامِ حَتّى وَصَلَ إِلى سَريرِ ٱلْأَطْفالِ ٱلْغارِقينَ في نَوْمِهِمْ ما عَدا « ٱلْقَزَمَ » ٱلَّذي أَخَذَ يَرْتَجِفُ مِنَ الرُّعْب .

جَسَّ ٱلْغولُ رُؤوسَ ٱلْأَطْفالِ فَوَجَدَها مُغَطّاةً بِالْقُبَّعاتِ فَتَأَكَّدَ أَنَّهُ سَريرُ بَناتِه .

ذَهَبَ إِلى السَّريرِ ٱلْآخَرِ وَجَسَّ رُؤوسَ النّائِمينَ فَوَجَدَهُمْ حاسِري الرُّؤوسِ ، فَقالَ في نَفْسِهِ : آه هٰؤُلاءِ





هُمُ ٱلأَطْفالُ ، يا لَهُ مِنْ طَعــامٍ لَذيذ . ثُمَّ تناوَلَ السِّكّينَ مِنْ وَسَطِهِ وَذَبَحَ بَناتَهُ السَّبْعَ وعادَ إلى فِراشِهِ مَسْروراً وَٱسْتَسْلَمَ لِلنَّوْمِ ٱلعَميق .

لَمّا سَمِعَ « ٱلقَزَمُ » شَخيرَ ٱلغولِ أَيْقَظَ إِخْوَتَهُ بِهُدوءٍ، وَطَلَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَتْبَعوهُ إلى ٱلحَديقَةِ ثُمَّ قَفَزوا مِنْ فَوْقِ ٱلجِدارِ وَأَسْرَعوا بِٱلهَرَبِ وَهُمْ يَرْتَجِفونَ مِنَ ٱلخَوْف .

في الصَّباحِ ٱسْتَيْقَظَ ٱلغولُ جائِعاً فَأَمَرَ زَوْجَتَهُ أَنْ تُحْضِرَ لَهُ ٱلأَطْفال . وَكَمْ كانَتْ دَهْشَةُ ٱلمَرْأَةِ الطَّيِّبَــةِ عَظيمَةً عِنْدَما رَأَتْ بَناتِهــا السَّبْعَ مُضَرَّجاتٍ بِدِمائِهِنَّ وَٱلأَطْفالُ لا يَبينُ لَهُمْ أَثَر . فَصَرَخَتْ بِأَعْلى صَوْتِهــا وَوَقَعَتْ على ٱلأَرْضِ مَغْشِيّاً عَلَيْها .

أَسْرَعَ ٱلغولُ لِيَرى ما حَدَثَ لِزَوْجَتِهِ ، فَإِذا بِــهِ يُفاجَأُ بِالحــادِثِ ٱلأَليمِ الَّذي ٱرْتَكَبَتْهُ يَداهُ ، فَزَفَرَ زَفْرَةً شَديدَةً ، وَقالَ وَهُوَ يَصِرُّ على أَسْنانِه :



ـــ لَقَدْ خدَعَني ٱلأَطفالُ حتّى ذَبَحتُ بَناتي بِيَدي ،
لا بُدَّ لي مِنْ مُعاقَبَتِهِم .

ثُمَّ خَرَجَ مِنَ ٱلمَنْزِلِ كالمَذهولِ يُفَتِّشُ عَنِ « ٱلقَزَمِ »
وَإِخوَتِهِ في كُلِّ مَكانٍ ، حَتّى صارَ عَلى مَقْرُبَةٍ مِنْهُمْ وَهُوَ
لا يَراهُمْ فَقَــدْ كانوا مُخْتَبِئينَ في كَهْفٍ صَغيرٍ تَحْتَ
صَخْرَةٍ كَبيرَةٍ وَشاهَدوهُ وَهُوَ يَقفِزُ بَيْنَ قِمَمِ ٱلجِبــالِ
وَيَتَخَطَّى ٱلحُقولَ وَٱلأَنْهارَ ، حَتّى تَعِبَتْ قَدَماهُ وَنالَ مِنْهُ
التَّعَبُ مَنــالاً عَظيماً ، فَاسْتَلْقى عَلى الصَّخْرَةِ الَّتي يَخْتَبِئ
تَحْتَها ٱلأَطفالُ ثُمَّ ٱسْتَسْلَمَ لِلنَّوْم .

ما كادَ « ٱلقَزَمُ » يَتأَكَّدُ مِنِ ٱسْتِغراقِ ٱلغولِ في
النَّوْمِ حَتّى طَلَبَ إلى إِخوَتِهِ ٱلفِرارَ بِسُرْعَةٍ ، ثُمَّ ٱرْتَقى
الصَّخْرَةَ وَنَزَعَ ٱلحِذاءَ السِّحْرِيَّ مِنْ قَدَمَي ٱلغولِ وَأَدْخَلَهُ
في قَدَمَيْه . لَقَدْ كانَ ٱلحِذاءُ واسِعــاً جِدّاً ، وَلكِنَّهُ
ما كادَ يُدْخِلُهُ في قَدَمَيْهِ حَتّى أَخَــذَ يَضيقُ وَيَضيقُ ،





وَصارَ كَأَنَّهُ صُنِعَ خِصّيصاً لَه .

وَبِهذا ٱلْحِذاءِ ٱلْعَجيبِ الَّذي يُقَرِّبُ ٱلْمَسافاتِ ٱلْمُتَباعِدَةِ، ذَهَبَ « ٱلْقَزَمُ » إلى ٱلْمَلِكِ وَأَخْبَرَهُ بِانْتِصارِ جَيْشِهِ في ٱلْمَعْرَكَةِ الَّتي يَخوضُها ضِدَّ ٱلأَعْداءِ عَلى بُعْدِ مِئاتِ ٱلأَمْيال . فَأُعْجِبَ ٱلْمَلِكُ بِهِ ، وَٱسْتَبْقاهُ في خِدْمَتِهِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ جَمَعَ خِلالَها كَثيراً مِنَ الدَّنانيرِ الذَّهَبِيَّةِ .

وَلَمّا عادَ إلى بَيْتِ والِدَيْهِ ٱسْتَقْبَلَتْهُ أُمُّهُ وَأَبوهُ بِالتَّرْحابِ لِأَنَّهُ أَنْقَذَ إِخْوَتَهُ مِنَ ٱلْمَوْتِ وَجَلَبَ لِلأُسْرَةِ السَّعادَةَ وَٱلْهَناء .


AH.


تطلب من:
دار العلم للملايين
مؤسسة نوفل
حكايات جدتي


ARAB COMICS
عرب كوميكس
AC
www.arabcomics.net